

## العلمانية المعتدلة والمتطرفة في الفكر السياسي الغربي ( دراسة مقارنة )

ا.م.د. مرتضى شنشول ساهي العقابي

جامعة ميسان / كلية العلوم السياسية

### المخلص

شهد القرن السابع عشر في أوروبا بداية فقدان الكنيسة للمكانة العالية التي كانت قد تبوأتها، واهتز الأساس الروحي والأخلاقي الذي أقامت عليه نفوذها بل جبروتها في العصور الوسطى، وبات المسيحيون في غرب أوروبا يتحدثون عن ضرورة إصلاح الكنيسة والقضاء على الانحرافات الخطيرة التي ظهرت بين رجالها، وتطوير نظمها وتنظيم علاقاتها مع أرجاء العالم المسيحي.

لم تكن العلمانية على درجة واحدة من حيث الطرح والاستخدام فالبعض طرحها بصورة طبيعية معتدلة على أنها تعطي مفهوم (فصل الدين عن الدولة) دون وجود أي إقصاء للجانب الديني شريطة عدم تدخله في الشؤون السياسية واعتباره من ضمن الأمور التي تعيش صراعا مع الشعور الداخلي للنفس الإنسانية، بينما طرحها آخرون طرحا متشددا (صلبا) فعلى الرغم من اشتراكهم مع التيار الأنف الذكر بفكرة (فصل الدين عن الدولة) فإنهم لم يكتفوا بهذا بل إن توجهاتهم مثلت دعوة صريحة لهدم كل ما هو ديني وإدخاله في إطار الخرافات والبدع التي لا وجود لها.

### Abstract

The seventeenth century in Europe witnessed the beginning of the Church's loss of its high status and the spiritual and moral foundation on which its influence and even its power was established in the Middle Ages. The Christians in Western Europe now speak of the necessity of reforming the Church and of eliminating the serious deviations that arose among its men. Organized and organized its relations with the Christian world.

Secularism has not been one degree in terms of introduction and use. Some have put it moderately as a concept of separation of religion from state without any exclusion to the religious aspect provided that it is not involved in political affairs and considered among the things that are in conflict with the inner feeling of the human soul, While others put forward a tough (hard) approach. Despite their involvement with the nascent current, the idea of separation of religion and state was not enough, but rather a clear call for the destruction of all that is religious and its introduction within the framework of myths and innovations that do not exist.

## المقدمة

شهد القرن السابع عشر في أوروبا بداية فقدان الكنيسة للمكانة العالية التي كانت قد تبوأتها، واهتز الأساس الروحي والأخلاقي الذي أقامت عليه نفوذها بل جبروتها في العصور الوسطى، وبات المسيحيون في غرب أوروبا يتحدثون عن ضرورة إصلاح الكنيسة والقضاء على الانحرافات الخطيرة التي ظهرت بين رجالها، وتطوير نظمها وتنظيم علاقاتها مع أرجاء العالم المسيحي.

ولقد جاءت هذه الدعوة في فترة شاعت فيها روح النقد وظهرت شخصية الفرد بسبب النهضة التي ظهرت واضحة في أوروبا في القرن السادس عشر الميلادي فتنحى المفكرون من القيود الثقيلة التي كانت تفرضها الكنيسة على حرية التفكير وحرية البحث العلمي، وسلطوا نور العقل والمنطق على جميع الأنظمة التي سيطرت على مجتمعهم الأوربي طيلة العصور الوسطى وخضع لها هذا المجتمع وفي مقدمتها الأنظمة الكنسية.

ومثلت فترة نهاية القرن الثامن عشر مع قيام الثورة الفرنسية عام (١٧٨٩ م) آخر مسمار في نعش السمو الكنسي، تلك الثورة التي كان واحدا من شعاراتها " اشفقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس " والتي أطاحت برجال الدين المستبدين فقفزت بهم إلى زوايا المعابد المظلمة وأبعدتهم عن ميدان الحياة كلها وخاصة في مجال الحكم والقضاء والتشريع، وبذلك تم الفصل بين الدين والدنيا وبين الدين والدولة في أوروبا.

هذا الانقسام النكد بين الدين والدنيا وبين الدين والدولة تبعاً لذلك في أوروبا مثل جفاء كبيراً بين الكنيسة والفكر وبالتالي بين العلم والدين، وكان العداء الجاهر الصريح بين طبقات الشعب المستغلة والمستضعفة وبين الكنيسة، وبالتالي بينها وبين الدين، وتحول الدين إلى صلة بين العبد وربّه فقط، إن لم يكن هناك إنكار كلي للدين في بعض الجوانب الفكرية الأخرى، أما مواجهة واقع الحياة فيكون بتقاليدهم وأعرافهم ثم بقوانينهم التي أصبح مشرعوهم يضعونها لهم.

فرضية البحث: تتناول جدلية المقارنة بين تيارين فكريين فلسفيين غربيين لهما لهما موقف فكري متباين من علاقة الفصل بين الدين والدولة، وهذين التيارين مثلاً مرحلتين من مراحل العلمانية يقوم احدهما على " الفصل المعتدل " الذي يرى بان الدين يجب أن لا يدخل في تنظيم وتشريع مفاصل الدولة من جانب، ولكنه من جانب آخر لا ينكر وجوده كعبادة روحية خاصة بالإنسان تتاح له حرية اعتناقها شريطة عدم الدعوة إلى إدخالها في النشاط السياسي للدولة.

أما المرحلة الأخرى فنقوم على " الفصل المتطرف " بين الدين والدولة فهي وعلى الرغم من دعوتها إلى عدم إيصال الدين للاختلاط والارتباط بكل ما هو سياسي، فإنها من جانب آخر تنكر وجود الدين أصلاً وتعتبره من ضمن الخرافات التي لا وجود لها.

مشكلة البحث: تتمثل في النقاشات المستمرة والواسعة التي تدور في الفضاءات الاجتماعية والأكاديمية حول العلاقة المعقدة بين الدين والسياسة، فرغم أن الدين كنظرة شمولية عميقة، وكحركة تاريخية، وكنظام ثقافي له أعظم الأثر على المسار الإنساني للتاريخ والأفكار، يعتقد بعض الباحثين العلمانيين أن الدين يجب أن لا يسييس، إذ ليس للدين أي صلة بالسياسة الواقعية لأنه " فوق طبيعي " وروحي بطريقة غير ذات صلة وغير منطقية.

هيكالية البحث: نتناول في هذا البحث ثلاثة مباحث، الأول منها يتناول (مفهوم العلمانية ونشأتها) والثاني يوضح مراحل العلمانية (مضمونها وبرز دعواتها)، أما المبحث الثالث فيتناول (التطبيقات العملية للعلمانية المعتدلة والمتطرفة على صعيد السلطة والمجتمع).

## المطلب الأول

## مفهوم العلمانية لغة

عندما تتطور اللغة لتتحت مصطلحا لا وجد له من قبل في معجمها فهذا دليل لا لبس فيه على أنها إزاء ظاهرة جديدة من ظواهر الواقع لم يسبق لها أن واجهت مثلها لتسميها ولتصوغ المفردة التي تطابقها. (١)

وعند النظر بشكل دقيق لمفردة العلمانية نجدها تحيلنا إلى أكثر من معنى سواء في تأويلاته العربية أو الفرنسية أم ترجمته من الانكليزية إلى العربية وليس معلوم على وجه الدقة كيف تم إدخال مفردة العلمانية على اللغة العربية وكيف أخذت تنتشر وتشيع في العلوم الإنسانية المعاصرة، ويشير احد الباحثين إلى أن مفردة العلمانية في البدء كانت تعني المدنية بصيغة الإشارة إلى المؤسسات ذات الأسس اللادينية. (٢) وهذا ما ذهب إليه (محمد عبده) عندما تطرق لمسألة طبيعة السلطة السياسية في الإسلام والتي كان يرى فيها سلطة مدنية، وأكد على انه ليس في الإسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة والدعوة إلى الخير والنفور عن الشر، والسلطان أو الخليفة حسب رأيه هو "حاكم مدني من جميع الوجوه". (٣)

وعند التنقيب عن تاريخ استعمال المفردة أتيج ل (جورج طرابيشي) أن يربطها باللاهوت المسيحي المكتوب بالعربية في القرن العاشر الميلادي، ووجد ذلك في كتاب "مصباح العقل" للأسقف القبطي (ساوي روس بن المقفع) في معرض كلامه عن الخلاف بين الطوائف المسيحية حول زواج الكاهن قائلا: "أما المصريون فرأوا أن يكون الأسقف بالإسكندرية خاصة أن لا يتزوج في حال علمانيته وأما النسطورية والسريان فرأوا أن لا يكون الأسقف البتة ممن تزوج قبل أسقفيته". (٤)

وبغض النظر عن تاريخ استعمال الكلمة فان هنالك جدلا من جانب آخر يتعلق بمعنى المفردة حيث يذهب البعض في التأسيس اللغوي إلى أن (العلماني بفتح العين وسكون اللام) هو نتيجة لمفردة (العالم) ويعني الخلق كله، وهذه النظرة الشاملة تؤكد استقلالية العالم بكل مقوماته وأبعاده وقيمه تجاه الدين ومقوماته وأبعاده وقيمه. (٥)

و(العلماني بكسر العين وسكون اللام) نسبة إلى مفردة (العلم) الذي انتصر على الكنيسة بعد صراع مرير سالت فيه دماء وأزهقت فيه أرواح لان الكنيسة كانت بالمرصاد لكل رأي علمي يعارض التفسير الديني للكتاب المقدس، حيث يراها احد الباحثين على أنها ثابت مركزي من ثوابت العلم وممارسة ديمقراطية لا يجوز إغفالها أو السكوت عنها بأي حال من الأحوال. (٦)

إلا أن هنالك العديد من المفكرين يرون أن لفظة (العلمانية) ترجمة غير دقيقة بل غير صحيحة لكلمة (secularism) بالانكليزية أو (secularite) أو (laique) بالفرنسية وهي كلمة لا صلة لها بمعنى (العلم) ومشتقاته فـ (العلم) بالانكليزية والفرنسية يعبر عنه بكلمة (science) والمذهب العلمي تطلق عليه كلمة (scientism) والنسبة إلى العلم هي (scientific) أو (scientifique) بالفرنسية. (٧)

وقد تحفظ البعض على هذه الترجمة وعدّها ترجمة غير صحيحة لكلمة هي (اللاينية) أو (الدنيوية) لا بمعنى ما يقال الأخروية فحسب بل بمعنى اخص وهو ما لا صلة له بالدين أو ما كانت علاقته بالدين علاقة تضاد. (٨)

أما في اللغة العربية فقد وضعت كلمة العلمانية معادلا للمصطلح الانكليزي (secularism) وهذا الاختلاف في قراءة الكلمة أدى إلى بروز خلافات واسعة بين المفكرين العرب فالذين فضلوا كلمة (العلمانية) بكسر العين

عدوا الكلمة مشتقة من العلم وبذلك عدوا الدعوة إلى العلمانية دعوة إلى العلمية نفسها، أما الذين وضعوا مفردة (العلمانية) بفتح العين فقد رأوها مشتقة من العالم وهي لذلك تصر على استقلال العقل البشري على كافة الأصعدة والمجالات من دون احتياجه إلى المسائل الدينية والمعنوية. (٩)

والعلماني في اللغة العربية سواء كان نسبة إلى (العلم) أو (العالم) فهو خلاف الديني والكهنوتي (١٠)، ويذهب معجم آخر إلى أن العلماني "من يعني بشؤون الدنيا". (١١)، والعلماني أيضا هو "العامي الذي ليس باكليركي" (١٢)، حيث إن أساس (التعلمن) هو الاعتراف بالتوجه المعرفي والعقلاني للعلمانية، ومن هنا يمكن للإنسان العلماني أن يكون ملحدا كما يمكنه أن يكون مؤمنا الأمر المهم هو ارتباطه الراسخ باستقلال العقل البشري في مجال العلم والمعرفة. (١٣)

## المطلب الثاني

### مفهوم العلمانية اصطلاحا

إن هذا المصطلح كالكثير جدا من المفردات التاريخية المهمة اكتسب لنفسه معاني متنوعة بمرور الأيام وحظي بتطور تاريخي من حيث المعنى ففي البداية استعملت المفردتان (secularism) و (laique) بخصوص ما هو خارج عن رجال الدين فقد كان هنالك الكثير من الأراضي الواقعة بوصفها وقفا تحت إشراف رجال الدين ورهبان الكنيسة والصوامع، فيما الأراضي التي لم تكن كذلك كانت تسمى بالأراضي الواقعة تحت إشراف العلمانيين حيث يراد من العلماني هنا هو (غير قسيس أو من غير رجال الدين) فقط من دون أن يحمل هذا المصطلح أي مضمون آخر. (١٤)

وقد استعمل مصطلح العلمانية لأول مرة في العصر الحديث عند توقيع صلح وستفاليا عام (١٦٤٨ م) وبداية ظهور الدولة القومية وهو التاريخ الذي يعتمده كثير من المؤلفين بداية لميلاد الظاهرة العلمانية في الغرب الذي مثل بداية للحد من انتشار التأثير الكنسي على كل من السياسة والاقتصاد إضافة إلى ظهور العديد من التأثيرات السلبية الناتجة عن الحروب بين الطوائف المسيحية الأوروبية والتحدي الواضح بين العلم والمعارف الدينية (١٥).

ويذكر أن أول من عرف المصطلح في معناه الحديث هو (جون هزليوك) وحوله إلى احد أهم المصطلحات في الخطاب السياسي والاجتماعي والفلسفي الغربي وقد حاول أن يأتي بتعريف تصور انه محايد تماما وليس له علاقة بمصطلحات مثل (ملحد) أو (لا ادري) فعرف العلمانية بأنها "الإيمان بإمكانية إصلاح حال الإنسان من خلال الطرق المادية دون التصدي لقضية الإيمان سواء بالقبول أو الرفض". (١٦)

أما (مارسيل غاشيه) فقد عرفها بأنها "فصل الدين عن الدولة والاستقلال التام في التنظيم الديني وعدم الخلط بين الدين والدولة، فالدين هو اجتماع الإنسان مع الخالق، أما الدولة فهي اجتماع البشر مع بعضهم البعض وهم ليسوا بحاجة إلى وحي أو رؤى كي يجتمعوا فيما بينهم". (١٧)

وتعرف (دائرة المعارف البريطانية) العلمانية بأنها "حركة اجتماعية تهدف صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالأخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها". (١٨)

بينما ذهب (المعجم الدولي الثالث) إلى أنها "اتجاه في الحياة أو في أي شأن خاص يقوم على مبدأ أن الدين أو الاعتبارات الدينية يجب أن لا تتدخل في الحكومة أو استبعاد هذه الاعتبارات استبعادا مقصودا، فهي تعني

مثلا السياسة اللادينية البحتة في الحكومة، وهي نظام اجتماعي في الأخلاق مؤسس على فكرة وجوب استناد القيم السلوكية والخلفية على اعتبارات الحياة المعاصرة والتضامن الاجتماعي دون النظرة إلى الدين". (١٩)

كما قدم (معجم أكسفورد) شرحا للكلمة وفق معنيين:- (٢٠)

١- دنيوي أو مادي ليس دينيا ولا روحيا: مثل التربية اللادينية في الفن والموسيقى اللادينية، السلطة اللادينية، الحكومة المناهضة للكنيسة.

٢- الرأي الذي يقول انه لا ينبغي أن يكون الدين أساسا للأخلاق والتربية. أما عالم الاجتماع الألماني (ماكس فيبر) فقد عرف العلمانية بأنها "نزع كل أشكال القداسة عن العالم وإفراغه من دلالاته الغيبية المتعالية وتحويله في نهاية المطاف إلى معادلات فيزيائية مادية قابلة للترميز والتوظيف الاداتي من طرف الإنسان". (٢١)

إن العلمانية عرفت من قبل المفكرين الغربيين إذن على أنها السعي إلى تأسيس مجال مستقل من المعرفة خال من الفرضيات الطوباوية وما فوق الطبيعة وذات النزعة الإيمانية، وبذلك كانت ثورة ضد الاطلاقات والعموميات الكلامية فيما تطالب بعرض أنظمة ومجموعات قابلة للفهم والسعي لبلورة تصور مفصول عن العالم مبني على أساس المعرفة القابلة للإثبات العلمي. (٢٢)

أما بخصوص دراسة الفكر العربي الإسلامي للمفهوم فإن الأمر يختلف بعض الشيء وحسب المواقف الفكرية الإسلامية المتفاوتة من العلمانية، فالغالبية العظمى من الإسلاميين يقفون بشكل سلبي بوجه العلمانية الغربية التي تفصل الدين عن توجهات الحياة، فقد كتب (محمد سليم) بهذا الصدد يقول: "إن أي إنسان يدعونا نتقبل العلمانية الغربية فهو يدعونا إلى أن نترك جزءا من عقيدتنا". (٢٣)

وهذا الموقف نجده في معظم إن لم نقل جميع الروى والتعريفات التي تقدم من قبل الكتاب الإسلاميين وعلى سبيل المثال نجد (محمد قطب) يعرفها بأنها "نبذ الدين وإقصاؤه عن الحياة العملية هو لب العلمانية" (٢٤)

كذلك نلتمس هذا الموقف السلبي من العلمانية باعتبارها تقف ضد الدين لدى (يوسف القرضاوي) الذي عرفها بأنها "عزل الدين عن الدولة وحياة المجتمع وإبقاؤه حبيسا في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة بينه وبين ربه فان سمح له بالتعبير عن نفسه ففي الشعائر التعبيرية والمراسيم المتعلقة بالزواج والوفاة وغيرها" (٢٥)

غير أن ذلك لا يمنع من وجود بعض المفكرين العرب والمسلمين ممن يعرفون العلمانية بطريقة اقل حدة على أساس أنها لا تنكر وجود الدين ولا ترفضه رفضا نهائيا بل تتجاهله خاصة في الشؤون السياسية حيث تعرف بأنها "ليست نمطا من التفكير معاديا للدين بل هي تعادي التأويل الكنسي (تأويل رجال الدين) الحرفي للعقائد وتناهض محاولة الكنيسة فرض تأويلها من اجل هيمنتها وسيطرتها". (٢٦)

أما (احمد زكي بدوي) فيرى في مصطلح العلمانية انه "يأخذ ناحيتين سياسية وتعليمية فيقصد بالسياسية علمانية الدولة في فصل السلطة الروحية عن السلطة السياسية وعدم تدخل الهيئات الدينية في شؤون الحكم، بينما يقصد بعلمانية التعليم قبول المدارس لجميع الأطفال على مختلف عقائدهم والامتناع عن أي خطط أو دعاية لتفضيل عقيدة على أخرى". (٢٧)

ومهما كانت التعريفات التي قدمت لمصطلح العلمانية فان هذا المفهوم يتضمن مجموعة من المعاني والمبادئ الايجابية يقابلها جملة من المبادئ والمعاني السلبية يمكن تلخيصها بالاتي :-

أولاً: المبادئ والمعاني الايجابية التي حملها مصطلح العلمانية: (٢٨)

- أ- نفي الصفة الدينية ( التيقراطية ) عن السلطة السياسية في الدولة.
- ب- المساواة بين أتباع الأديان في المعاملة السياسية والإدارية والاجتماعية.
- ج- تطوير الأوضاع والأنظمة الاجتماعية على أساس عقلائي مستمد من التجربة ومن النظر العقلي بعيداً عن النصوص والمبادئ الدينية.
- د- تحرير الدين من سيطرة الدولة وتحرير الدولة من هيمنة المؤسسات الدينية التي قد تسعى لفرض سيطرتها على المجتمع بوسائل الإكراه.

ثانياً: المبادئ والمعاني السلبية التي حملها مصطلح العلمانية: (٢٩)

- أ- إنها وضعت حواجز مغلقة بين عالمي الروح والمادة.
- ب- إنها لا تنظر إلى القيم الروحية نظرة ايجابية فهي تنظر لها نظرة سلبية بحيث لا تشركها في التخطيطات والنشاطات ذات الطابع المدني.
- وتختلف النظرة إلى مفهوم العلمانية من حيث شمولها لكافة نواحي الحياة أو اقتصرها على جوانب معينة دون الأخرى، وفي هذا الصدد يميز احد المفكرين بين نوعين من العلمانية هما: (٣٠)
- أ- العلمانية الجزئية وهي (فصل الدين عن المجال السياسي والاقتصادي والتزام الصمت حيال تأثير الدين في المجالات الأخرى مثل الزواج والطلاق والإرث.....).
- ب- العلمانية الشاملة وهي (رؤية شاملة للواقع تحاول بكل صراحة تحييد علاقة الدين المطلقة والغيبيات بكل مجالات الحياة وهي رؤية عقلانية مادية تدور في إطار المرجعية الكامنة والواحدية المادية التي ترى أن مركز الكون فيه غير مفارق أو متجاوز له وان العالم بأسره مكون أساساً من مادة واحدة).
- مما تقدم يتضح أن مفهوم العلمانية مفهوم سياسي عام يرى أن الدولة والمجتمع يجسدان علاقات إنسانية وليس علاقات دينية، وكذلك يتضح أن معنى العلمانية ظهر عبر أوجه مختلفة إلا أن مقومها الرئيس قائم على حياد الدولة تجاه الدين.

### المطلب الثالث

#### نشأة العلمانية

في هذا الصدد سنتناول نشأة مصطلح العلمانية في كلا البيئتين الغربية والعربية وكما يلي:

أولاً : نشأة العلمانية في الفكر والمجتمع الغربي: إضافة لما قدمناه من إشارات لنشأة العلمانية يمكن القول أن جانب التعاليم الكنسية قد غلب منذ بدايات العصور الوسطى على جميع جوانب الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية في أوروبا بشكل خاص وفي جميع العالم المسيحي بوجه عام، فكانت الكنيسة طيلة فترة العصور الوسطى المسيحية بصورة مباشرة أو غير مباشرة تكاد أن تكون صاحبة السلطان المطلق على كل شيء، فلها بما هي مؤسسة دينية سلطان مطلق على روح الفرد وعقله، كما أن لها لهذا الاعتبار نفسه سلطان على الأسرة من حيث نشأتها وصيرورتها واصلها، ولها من حيث أنها تمثل سلطان الله على الأرض سلطة على المجتمع ومؤسساته السياسية المتمثلة بالدولة والإمارات الإقطاعية. (٣١)

ولكن حدثت في نهايات العصور الوسطى المسيحية في أوروبا بعض المتغيرات الكبرى التي أدت إلى إحداث بعض الاهتزاز على نظام العلاقات الذي كانت الكنيسة تمثل قيمته العليا، وقد تمثلت هذه المتغيرات بدخول العثمانيين سنة (١٤٥٣م) إلى القسطنطينية والنشاط المالي بنمو التجارة وتبادل السلع والمنتجات بين الإمارات الإقطاعية وكذلك المتغيرات في حقول السياسة والعلم والمال والفن أدت إلى بعض الاهتزاز على نظام العلاقات الذي ظل سائدا طيلة العصور الوسطى. (٣٢)

وهناك مجموعة من الأسباب التي أدت إلى تباعد الكنيسة المسيحية عن العلم من جهة والدولة من جهة أخرى واهم هذه الأسباب ما يأتي:- (٣٣)

١ - حملت الكنيسة الدين أكثر مما ينبغي من جفوة للعلم، فان سلطانها القائم على الدين وتأويلها واحتكارها تفسيره أدى إلى الربط ما بين الدين ورجال الدين في أذهان العامة فلما اكتشفوا ما عليه رجال الدين من فساد انهار ما في نفوسهم من توقير للدين والعلم الكنسي.

٢ - العلماء والمفكرين لم يجدوا في تعاليم المسيحية (بعد أن خضعت لتفسيرات الاكليروس) ما يتفق وتفكيرهم العلمي فهجروها.

٣ - عند سيطرة الكنيسة على مقاليد الحكم في روما أخذت نفس التنظيم الإمبراطوري وجعلته مثالا لتنظيمها ومزجت بين الدين والدولة ولهذا عندما قامت الثورة على السلطان الكنسي لم تكن على الكنيسة فحسب وإنما كانت ثورة على المسيحية وعلى الأخلاق الدينية.

ونتيجة للطفغان الكنسي الكاثوليكي نشأت حركة دينية عرفت بالحركة (البروتستانتية) والتي نشأت بدورها عن حركة الإصلاح الديني التي أسسها (مارتن لوثر) ويطلق عليها أيضا بمذهب (المحتجين أتباع مارتن لوثر) الذي انشق عن الكنيسة الكاثوليكية وعلق احتجاجه المشهور على بابها، وأعلن أن المسيحي لا يخضع إلا للإنجيل وحده ولا يعترف بسلطان لغير الكتاب المقدس ويرفض رئاسة البابا وغيره، وان الكنيسة لا سلطان لها على محو الذنوب وان الإنسان يدان بعمله، كما رفض الصلاة باللغة اللاتينية غير المفهومة وغيرها من الأمور. (٣٤)

ولعل من أهم المبادئ التي رسخت حركة الإصلاح الديني هي ضرورة الفصل بين الشؤون الدنيوية والسياسية خاصة بعدما ادعت الكنيسة بأمر لم تكن لها أصلا، وهذا التقسيم أو التمييز بين الشؤون الدنيوية والدينية هو الذي اخذ اسم (العلمانية) فيما بعد. (٣٥)

وبهذا يمكن فهم العلمنة على أنها عملية تراجع السلطة المسيحية ولا سيما بشكلها المماس المتعلق بالطوائف المسيحية، وطبقا لهذا التفسير تمثل العلمنة خطة لفهم ضياع أهمية المسيحية الدينية الأصلية واضمحلال نفوذ الكنيسة، وأيضا فهم العلمنة على أنها عملية تحول ما هو في الأصل معتقدات مسيحية إلى مفاهيم دنيوية عن البشر والعالم. (٣٦)

أما من منظور لاهوتي ولا سيما بروتستانتية فان بالإمكان فهم العلمنة على أنها نتيجة مشروعة وضرورية من نتائج العقيدة المسيحية، وهذا التفسير يستند بصورة رئيسية على ما نشره اللاهوتي الألماني (غوغارتن) حيث يصف العلمانية بأنها نتيجة اتجاهات تمثل جزءا جوهريا من العقيدة المسيحية أي أنها زوال الوهم عن العالم، وكذلك ضعف الدول الكبرى التي كانت تحكم العالم فيما مضى. (٣٧)

وبهذا يمكن القول بان هناك مرحلتين لنشأة العلمانية في الفكر الأوربي هما: (٣٨)

الأولى: تلك التي كانت فيها العلمانية تعني عزل الدين والكنيسة عن شؤون المجتمع وسياسته ومؤسساته لحساب بناء الدولة البرجوازية في سبيل دعمها والسعي لتصفية اللاهوت المسيحي الكاثوليكي وتنقيته مما هو غير عقلائي، وقد عرفت أوروبا العلمانية بهذا المعنى في حوارها الأول عند فلاسفة ومفكرين أمثال (هوبز، لوك، روسو، فولتير، ديكارت....).

الثانية: مرحلة العلمانية الثورية التي مثلها فلاسفة ثوريون أمثال ( فيور باخ، ماركس، لينين.. ) وهي المرحلة التي استهدفت فيها العلمانية الثورية هدم الدين وتخليص الاشتراكية ومجتمعها من تأثيراته وذلك لحساب العدل الاجتماعي الاشتراكي.

ثانيا: العلمانية في الفكر والمجتمع الإسلامي

منذ أن فرض الاستعمار سلطاته على المجتمع الإسلامي وجرت محاولاته الواسعة في إقصاء المنهج الإسلامي في الشريعة والاقتصاد والتعليم وإحلال منهج علماني بديلا منه بدأ ذلك واضحا في محاولاته لفرض القانون الوضعي بديلا للشريعة الإسلامية وإنشاء معاهد الإرساليات التبشيرية والسيطرة على مناهج المدارس الوطنية وإخلائها من دراسات القرآن والإسلام والعروبة وإقامة هذه المناهج بلغة المحتل. (٣٩)

وكانت الدعوة في أول أمرها تنطلق من خلال النظام السياسي ويركز رجالها على النظم الليبرالية الديمقراطية كأساس للمنهج السياسي الذي يجب أن تطبقه البلاد العربية بعد أن تنال استقلالها وهو المنهج الذي يقوم على أساس إنشاء برلمان ودستور وأحزاب. (٤٠)

وأیضا كانت الدعوة لتطبيق العلمانية في الحكم والتشريع بداية للانحراف بداعي الأسباب المتمثلة في تخلف المسلمين الحضاري وجمود الاستنباط الفقهي، وتوهم دعاة اليقظة بان سبب تأخر المسلمين يتمثل بعجزهم التنظيمي والإداري وما أدى ذلك إليه من تبلور فكرة (الإصلاح) واستيراد التنظيمات ومن ثم التشريعات الكافرة وكيف انتهى الأمر بالحركة الإصلاحية في تركيا وكذلك إقصاء الشريعة في البلاد العربية وخاصة مصر بالتعاون بين الاستعمار ودعاة الإصلاح. (٤١)

كذلك كانت هنالك دعوة إلى تحريف اللغة والأدب والقانون والتربية وكلها محاولات للقضاء على مفهوم الرابطة العربية القائمة على أسس وطيدة وعميقة الجذور من اللغة والتاريخ، وكما جرت الدعوة إلى الإقليمية التاريخية جرت الدعوة كذلك إلى العامية في اللغة والى اقتباس الأساليب الغربية في التعليم وإعلاء اللغات الأجنبية والتاريخ الأوربي. (٤٢)

كذلك في الاجتماع والأخلاق أصبح الحديث عن سوء تمثيل المجتمع الإسلامي لحقيقة الإسلام والتقبل الذاتي لتقليد الغرب والدعوة لتحرير المرأة. (٤٣)

أما في مجال القانون فقد سيطر القانون الفرنسي في أواخر عهد السلطان العثماني (الخدوي إسماعيل ١٨٣٠-١٨٩٥م) ثم وضع تقنين آخر اشد إيغالا في تركيز النفوذ الأجنبي عام (١٨٨٣ م) هو القانون المدني ثم زادت السيطرة التي استهدفت التمهيد لإلغاء المحاكم الشرعية، وكانت الدراسات في مدرسة الحقوق تقدم على أساس القانون الوضعي مع بعض شرائح من دراسات الشريعة الإسلامية. (٤٤)

كذلك دور التخطيط اليهودي الصليبي ونشره للعلمانية عندما نلاحظ جذور العداوة التاريخية للمسلمين من قبل اليهود والنصارى والخطة الجديدة للغزو وإفادتها من الواقع الإسلامي المنحرف، وقسمت المؤامرة أربعة أجنحة كبرى (قوى الاحتلال المباشر، المستشرقون، المبشرون، الطوائف اليهودية والنصرانية)، وكانت جهود

وعمل كل جناح في سبيل تحقيق الهدف المشترك :إخراج المسلمين من دينهم وصبغهم بالصبغة الغربية اللادينية(٤٥).

إن جميع هذه العوامل ساهمت وساعدت بشكل مباشر أو غير مباشر في تسريب ونشر العلمانية إلى العالم الإسلامي وإدخالها بعدة أشكال وصور في سبيل طمس الهوية الإسلامية وإذابتها في الحضارة الغربية، ولكن على الرغم من ذلك يبقى مضمون العلمانية في إطار الحضارة العربية الإسلامية مرفوض وغير وارد الذكر من بعض التيارات الإسلامية.

مما تقدم يتضح إن لمفهوم العلمانية إبعادا واسعة وضيقة في آن واحد، فهو واسع إذا كان يفترض أن الدولة ليست ملكا لفئة من الناس وإنما هي ملك للجميع دون أدنى تمييز بين الأفراد تبعا لتوجهاتهم في الحياة، وهو ضيق إذا كان يعني الصراع الموجه ضد الحكومة الكهنوتية الدينية والتأكيد على الحرية الدينية وفصل الدين عن الدولة سواء في البيئة الإسلامية أو الغربية.

## المبحث الثاني

### مراحل العلمانية (مضمونها وابرز دعائها)

إن أهمية البحث في نمطين من العلمانية أدت إليهما سبل العلمنة المختلفة تكمن في أن الايدولوجيا العلمانية التي يجري تبنيها تؤثر في الواقع بشكل مختلف في العلمانية احدهما كموقف سلبي من نشاط الدين في المجال العام، وثانيهما كموقف من الدولة يفرض عليها الحياد في الشأن الديني.(٤٦)

ويمكن القول إن أنموذجين للعلمانية صعدا على أنقاض الحالة الأوربية التي كانت قائمة قبل الحداثة وثمة درجات في الواقع لكل نموذج من النموذجين :الأول يتلخص بعلمانية معتدلة ترى أن تتبنى الدولة موقفا محايدا متسامحا تجاه تعددية الأديان والمذاهب وحرية ممارستها وحرية الفرد في اختيار عقيدته بغض النظر عن عقيدة صاحب الموقف نفسه فهو قد يكون مؤمنا أو ملحدا أو غير ذلك،والثاني علمانية صلبة متشددة لا تكتفي بفصل الدولة عن الدين بل تتخذ موقفا سلبيا من الدين على المستوى الاجتماعي وتنظر بإيجابية إلى انحسار الإيمان في المجال العام.(٤٧)

بناء على ما تقدم سنتناول في هذا الفصل مبحثين:

المطلب الأول: العلمانية (المعتدلة - المؤمنة ) مضمونها وابرز دعائها.

المطلب الثاني: العلمانية(المتطرفة - الملحدة ) مضمونها وابرز دعائها.

### المطلب الأول

#### العلمانية (المعتدلة - المؤمنة ) مضمونها وابرز دعائها

ظهرت العلمانية المعتدلة في الفترة الزمنية بين القرنين السابع عشر والثامن عشر للميلاد، واعتبرت أن الدين من الأمور الخاصة في الأشخاص، وأن سلطة الدولة تكون مطبقة ضمن حدودها، ولكن يجب أن توفر حماية للكنيسة، وخصوصا في إطار جباية الضرائب، واعتمد التفكير العلماني في المرحلة المعتدلة على تأكيد الفصل بين الكنيسة والدولة، إلا انه لم يتجاوز كل القيم الدينية المسيحية، ولكن ظهرت مجموعة من المطالب سعت إلى إخضاع التعاليم المسيحية للعقل، والمبادئ الطبيعية.

والعلمانية (المعتدلة - المؤمنة) هي العلمانية التي كانت تعني عزل الدين والكنيسة عن شؤون المجتمع ومؤسساته لحساب بناء الدولة البرجوازية وفي سبيل دعمها والسعي لتصفية اللاهوت المسيحي الكاثوليكي وتنقيته مما هو غير عقلائي من أمثال أسرار عقيدة التثليث والطبيعة الإلهية للمسيح (عليه السلام)، والعمل على رفع الوصاية الدينية الكنسية عن التعليم تمكينا للفطرة الإنسانية من الاختيار. (٤٨)

ولقد عرفت العلمانية الأوروبية - بهذا المعنى- غير التيار المادي الملحد تيارا مؤمنا بالله استطاع فلاسفته (بالخصوص مفكري العقد الاجتماعي، هوبز، لوك، روسو) التوفيق بين الإيمان بوجود اله خالق للعالم وبين العلمانية التي ترى العالم مكتفيا بذاته فتحصر تدبر الإجماع البشري في سلطة البشر المتحررة من شريعة الله. (٤٩)

كان هذا التوفيق مؤسسا على التصور الأرسطي لنطاق عمل الذات الإلهية، فالفهم في التصور الأرسطي واحد مفارق للعالم وخالق له ولكنه قد أودع في العالم والطبيعة الأسباب التي تدبرها ذاتيا دونما حاجة إلى تدخل الهي أو رعاية إلهية بعد مرحلة الخلق ( فالحركة توجد في الشيء بذاته ولذاته لا من حيث إن شيئا خارجيا هو الذي يحدث فيه هذه الحركة وعناية الله موقوفة على ذاته ولا تدخل له في الأحداث الجزئية في العالم والطبيعة). (٥٠)

فالعالم مكتفيا بذاته تدبره الأسباب المودعة فيه وهو وحده مصدر المعرفة الحقة - القابلة للبرهنة والتعديل وتدبير الدنيا، مرجعيته الإنسان بالعقل والتجربة -دون رعاية أو تدبير أو تدخل من السماء، هكذا استندت العلمانية في تأسيس (دنيويتها) على التصور الأرسطي في نطاق عمل الذات الإلهية - فهو مجرد خالق فرغ من الخلق وانحسرت عنايته بذاته دونما رعاية أو تدبير للمخلوقات كصانع الساعة الذي أودع فيها أسباب عملها، دون حاجة لوجوده معها وهي تدور. (٥١)

• ابرز دعاة العلمانية (المعتدلة - المؤمنة)

أولا : توماس هوبز (١٥٨٨-١٦٧٩ م)

يرى هوبز بان الطبيعة البشرية طبيعة شريرة لا تعرف الراحة في الحصول على القوة، حيث يدفعها الخوف والتنافس لتحقيق ذاتها، فإذا لم تقم سلطة تكبح جماحها فان جميع الناس سوف يهلكون في صراعهم الدائم، والحاكم وحده يستطيع حملهم على طلب السلام وعلى ترويض نزواتهم بالاتفاق مع بعضهم البعض على إقامة سلطة تكبح جماح الفرد وتحميه في الوقت ذاته، وهنا يأتي دور العقل الإنساني، والعقل لدى هوبز هو شيء يكتسب بالمراس أي انه ليس فطريا كما اعتقد ديكارت. (٥٢)

إن من إضافات هوبز القوية هي: انه إن كان الإنسان قد خلق وضعا صناعيا يؤطر وينظم به نفسه من خلاله، فهو لم يصل إلى الوضع الصناعي العقلاني إلا ابتداء من القرن السابع عشر، إضافة إلى أن هوبز قد رفض التراث الأرسطي القائم على أساس أن الدولة طبيعية، والتراث الديني القائم على أساس أن الملك هو ظل الله في الأرض، أي ما سمي بالحق الإلهي، موجها السياسة نحو العلمنة، فالشعب هو من يقوم باختيار الحاكم لدواع أرضية خالصة هي ضمان الأمن والاستقرار، فبناء الدولة يبدأ من الأسفل إلى الأعلى، أي من أفراد الشعب إلى الحاكم المتكفل لهم بسبل الحياة، وإلا وجب التحرر منه والتخلي عنه، حيث إن الإنسان لدى (هوبز) ذئب بطبيعته وان الكل في حرب ضد الكل، فلن يتخلص الناس من هذا الكابوس المزعج فإنهم يتجمعون سويا ويفوضون قدراتهم الخاصة لسلطة الدولة " فلما كان الناس عقلاء ومياليين إلى التنافس فأنهم يصلون إلى اتفاق أو ميثاق من صنعهم يتفقون فيه على الخضوع لسلطة معينة من

اختيارهم وبمجرد قيام مثل هذا النظام لا يكون لأحد الحق في التمرد ما دام المحكومين لا الحاكمين هم الملزمون بالاتفاق ولا يحق للناس الانسلاخ عن الاتفاق إلا إذا عجز الحاكم عن توفير الحماية التي اختير أصلا من أجلها". (٥٣)

وبهذا المعنى ينتقل المجتمع الإنساني من الفوضى البدائية إلى الحياة المدنية المنظمة، وفيها يتنازل المجتمع فرادى أو جماعات عن كافة حقوقهم لفرد واحد له السلطة العليا وحق السيادة وهو ليس طرفا في العقد، لذلك يكون له الحق والحرية فيما يفعل بمشيئته ولا معقب على إرادته. (٥٤)

ومن هنا امتزجت نظرية الحق الإلهي للملوك بنظرية سلطة الملك المطلقة على أراضيها في النهاية في نظرية سياسية جديدة هي نظرية الملك المطلق الإرادة العالم المستنير الذي يتوخى مصالح شعبه، أو المستبد العادل كما صور هوبز في كتابه العملاق (Leviathan) والذي يستند في حكمه إلى الحق الطبيعي دون الحق الإلهي، فقد زالت الحاجة إلى مثل هذا الزعم بعد أن قضت الدولة القومية على كل سلطة كهنوتية وأصبح الأساس النظري للحكم علميا وليس دينيا. (٥٥)

بناء على ذلك يرى هوبز بان الدين هو شعور داخلي يكمن في الإحساس الإنساني وينطلق من تصور مادي صرف للظواهر الإنسانية بمختلف أنواعها، الإحساس هو الأصل في كل شيء، عبر الإحساس يأتي التخيل ثم تتكون اللغة ويقع الارتباط بين نظام الأفكار فنظام الكلمات ومنه يأتي ما نسميه العقل " الذي هو بالتالي ظاهرة مادية بحتة " وان الدين الطبيعي أو الإيمان الذي هو من كسور انفعال الخوف والذي يستغله بعض الناس الذين يتسلطون على الآخرين بتطويع هذه البذور وإنمائها في النفوس للمساك بناصية الغيب وادعاء ضرب من الاتصال بالأرواح والملائكة لضمان الانقياد الأعمى لدى من يريدون الهيمنة عليهم، أي إن الدين موجود وهو شعور داخلي يلتصق بالإنسان حيثما توجه بحثا عن الأمان، فلا يمكن إنكاره لأي سبب كان ولكنه يجب أن يبقى تحت وصاية الدولة.

وينتهي هذا المذهب السياسي إلى أن الحكومة هي الجهاز الذي تنصبه الدولة لممارسة السلطة المطلقة وان رأس الحكومة هو الملك يتمتع بالسلطة المطلقة على الحكومة. (٥٦)

وبناء على ذلك نادى هوبز بالدولة (التنين) وهي دولة ذات سيادة لها سلطة مطلقة على كافة نواحي الحياة والخضوع لسيادة هذه الدولة هو الذي يفسر إقراره للمعتقدات الدينية والقواعد الأخلاقية التابعة لها. (٥٧)

ثانيا: جون لوك (١٦٣٢-١٧٠٤ م)

اعتقد لوك إن الإنسان كان يعيش حالة طبيعة بدائية ولكنه تصور أن الأفراد في هذه الحالة الطبيعية كانوا أحرارا متساوين وأنهم لم يكونوا في حالة حرب بين بعضهم البعض كما ذهب إليه هوبز لان قانون الطبيعة أيد حقوقهم بوصفهم حيوانات عاقلة وإنهم بمقتضى هذا العقل توصلوا إلى اتفاق (عقد اجتماعي) يتنازلون بموجبه عن حقوقهم في الثواب والعقاب للجماعة كلها لا إلى الملك. (٥٨)

إن المنطلق الذي برهنت نظرية العقد الاجتماعي على صحته عند (جون لوك) من أن شرعية السلطة السياسية تصدر من إرادة الناس وليس من إرادة الله صار مكونا ثابتا لقناعاته. (٥٩)

وكذلك فان اجتماع الناس على هذه الصورة تؤدي إلى نشأة الكيان السياسي الواحد الذي يدين لحكم الأكثرية، وتقوم السلطة التي تحكم وفق القوانين الثابتة والمستقرة التي يعرفها الشعب والتي أعلنت عليه ولا

تتضمن غاية أخرى غير أمنه وسلامه وخيره العام، وحين يتجاوز الحكم حدود القانون، ويخفق في تأمين الحقوق الطبيعية للأفراد حينئذ تحق الثورة عليه، فالشعب هو الفيصل الأخير في كل سلطة مدنية أو سياسية. (٦٠)

ويفصل لوك تماما بين السلطتين الزمنية والدينية، فليس للسلطة الزمنية أن تتدخل في حياة الأفراد الدينية بل عليها أن تضمن حرية العقيدة لكل الأفراد على السواء وان تترك الشؤون الدينية للكنيسة ترعاها بنفسها وفقا للقوانين العامة. (٦١)

هذا الفصل بين الكنيسة والدولة الذي نادى به لوك لم يقصد من وراءه إلغاء الدين والتهمج عليه بل كان يرى بان الدين محبب إلى النفس كعبادة داخلية، وهذا الحب نابع من نبل السيد المسيح (ع) لذلك فان الدين المسيحي محبب إلى النفس وكل تعاليمه جميلة باعتبارها خير آمال الإنسان وأكثرها إشراقا وإذا كان ثمة شيء يمكن أن يكون رسالة إلهية فان هذه القصص وذلك المذهب تبدو وكأنها من عند الله، ورأى لوك أن يتقبلها جميعا على أنها مقدسة بل أن يقرها أيضا في كل أساسياتها باعتبارها متفقة كل الاتفاق مع العقل.

ثالثا: جان جاك روسو (١٧١٢ - ١٧٧٨ م)

بمقتضى العقد الاجتماعي عند روسو يتنازل كل فرد عن حقوقه للمجموع وليس لشخص بعينه أو لعدد من الأشخاص، فيكون الفرد في حماية الجميع وتتحقق الحرية والمساواة دون قيد أو شرط، منكر كل مطالبه الخاصة، فيصبح تحت تصرف الإرادة العليا للجماعة التي تمثل إرادته وتتضمنها، فتزول الأنانية ويساوى القانون العام بين الجميع، وهذه الجماعة هي ما كانت تدعى من قبل "مدينة" وأما اليوم فتدعى "دولة" وأعضاؤها هم أفراد الشعب أو مجموعته وهم "مواطنون" متى اشتركوا في الشؤون السياسية و"رعايا" متى خضعوا لقانون واحد. (٦٢)

وان كان روسو يبدو حريصا على عدم إغضاب الكنيسة فهو يدعو إلى دين طبيعي مستند على الحساسية الأخلاقية ومضاد للنظام الاجتماعي القائم على الظلم والذي كرست الكنيسة مظالمه. (٦٣) حيث بين روسو بان المجتمع الذي يقوم على العقد يؤلف هيئة معنوية لها (دين مدني) لا للفرد ناحية من نواحي الحياة مستقلة عن الحياة المدنية ويتعين على الدولة أن تنكر ديننا كالمسيحية بالفصل بين الروحي والسياسي وأن لا تسمح بوجود سلطة كنسية إلى جانبها. (٦٤)

وقد تناول مفكرون آخرون العلمانية بشكلها (المعتدل-المؤمن) حيث يرى الفيلسوف الفرنسي (رينيه ديكارت ١٥٩٦-١٦٥٠ م) وعلى الرغم من تأكيده على قداسة النص الديني فان فلسفته تقوم على حسن قيادة العقل والبحث عن الحقيقة في مختلف مستوياتها الانطولوجية والدينية والأخلاقية، فقد أسس لفلسفة حديثة محورها العقل أي أن الإيمان بالعقل شرط أساسي من شروط إدراك الحقيقة وان الحداثة هي تشريع لسلطة العقل في الاستقلال عن الإرث الأرسطي الملتحف بالدين ذلك إن ديكارت يميز بين الميتافيزيقيا التي تنهض على العقل البشري والدين أو (التبولوجيا) وموضوعها الحقائق المنزلة.

بذلك تكون فلسفة ديكارت قد مثلت قطيعة حادة عندما ميزت بين الفكر والوجود تمييزا حادا جعل العقل الغربي بعدها ينحى منحى الأحادية المادية الميكانيكية، وخسر نصف الميتافيزيقي وألقى به في عهدة غيره دون إنكاره كعبادة روحية داخلية (٦٥)، فديكارت يبحث في إشكالية العقل والحقيقة وإشكالية الإنسان والإله وإشكالية الإنسان والعالم ليؤسس لذلك تفكيراً نوعياً مختلفاً عن الإرث أي ما قاله "المعلمون" وما يروج له

العلماء البيولوجيون، فديكارت يؤمن بان الحقائق المنزلة حقائق لا ريب فيها، وهي حقائق تفوق العقل البشري، لان أساس الدين هو النور الإلهي الذي يفوق النور الإنساني حكمة ويقينا. (٦٦)

لقد أسفرت مواجهة هذا التيار الفلسفي للمسيحية عن مواقف تتراوح بين الاعتراف بالكتلكة مرورا بمذاهب إصلاحية تتناول بعض المعتقدات المسيحية بالتعديل أو الإلغاء، ومن جملة هذه المذاهب ما شاع في القرن الثامن عشر في انكلترا وغيرها، وهو مذهب الإلوهية الطبيعية، ولكن هذه المذاهب كلها كانت تعترف بان الدين شان شخصي للإنسان ومن حقوقه الأساسية. (٦٧)

## المطلب الثاني

### العلمانية (المتطرفة - الملحدة) مضمونها وابرز دعائها

كانت (الثورة العلمانية) التي فجرتها فلسفة التنوير الأوربي التي أقامت قطيعة معرفية مع فلسفة الحكم الكهنوتي وأسست النزعة العلمانية الحديثة على التراث الأوربي القديم وعلى عقلانية التنوير الأوربي الحديث التي أحلت (العقل) و(التجربة) محل (الدين) و(اللاهوت) قد أعادت الكنيسة إلى حدودها الأولى : خلاص الروح، ومملكة السماء، وجعل ما لقيصر لقيصر من دون الله وجعل العقل والتجربة دون الدين واللاهوت والمرجع في تدبير شؤون العمران الإنساني، بعبارة أخرى إنها عزلت السماء عن الأرض انطلاقا من فلسفة أن العالم مكثف بذاته تدبره الأسباب المخلوقة في ظواهره وقواه وطبيعته دونما حاجة إلى رعاية إلهية أو تدبير شرعي نازل مما وراء الطبيعة والعالم: فالعلمانية هي: جعل المرجعية في تدبير العالم إنسانية خالصة ومن داخل العالم، دونما تدخل من شريعة سماوية هي من وحي الله المفارق لهذا العالم. (٦٨)

وهذه العلمانية المتطرفة هي المرحلة الثانية من مراحل العلمانية وأطلق عليها أيضا مسمى (الثورة العلمانية)، وظهرت في الفترة الزمنية من القرن التاسع عشر للميلاد وما بعده، واعتمدت هذه المرحلة العلمانية على تطبيق إلغاء كلي للدين، وليس فقط الفصل بين الدولة والدين كما في المرحلة العلمانية الأولى، وتم اعتبار ان الأشياء المحسوسة هي الموجودة بشكل حقيقي، والدافع من خلال هذه المرحلة هو السيطرة على سلطة الدولة، مع عدم وجود أي تساوي مع سلطة الكنيسة.

ومن ابرز دعاة العلمانية المتطرفة - الملحدة :

أولا : فيورباخ (١٨٠٤-١٨٧٢ م)

مثلت فلسفة فيورباخ المادية انعكاسات على موضوع بحثنا ليس من حيث كون الكنيسة تمثل سلطة دينية في المجتمع بل على المسيحية نفسها كدين ان يقدم تصورا معيناً للكون ويعبر عن نفسه في ممارسات وعلاقات معينة داخل المجتمع كما يرى فيورباخ.

حيث يمكن القول ان (فيورباخ) أسس منطلقاً رئيسياً لفهم الفلسفة والدين وغيرهما يقوم على زاوية نظرة الإنسان وحاجاته المادية وأحاسيسه ومشاعره، ويمكن اعتبار فلسفته مادية إنسانية حيث أسس (فيورباخ) البحث في الدين من منطلق إنساني وجودي وهذا هو الموقف الذي تكرر لاحقا في فلسفة الدين وفي علم النفس في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وهو الموقف الذي قادته الفلسفة الوجودية من وجود الجنس البشري في الإنسان عند (فيورباخ) إلى وجود الإنسان الفرد العيني (وجود الأنا العيني) وأسئلته الوجودية ومن حوله العدم. (٦٩)

يقول فيورباخ: " الله الذي يوجد فقط من غير إظهار لنفسه، ويعيش من اجلي فقط من خلال نشاط عقلي، مثل هذا الإله هو مجرد اله نظري، خيالي، ذاتي، الله الذي يعرفني بنفسه من خلال فعله نفسه هو فقط الإله الذي يوجد حقا، والذي يثبت وجود نفسه - اله موضوعي". (٧٠) حيث يبين فيورباخ انها لفكرة خيالية تلك التي تقول بان الإنسان لم يتمكن إلا بواسطة الرعاية الإلهية ومن خلال مساعدة الكائنات الخارقة مثل الآلهة والأرواح والجن والملائكة ليرفع نفسه فوق مستوى الحيوان، وبالطبيعة فقد أصبح الإنسان بصورة ليس هو عليها فقط من خلال نفسه وقد احتاج من اجل هذا مساعدة الكائنات الأخرى ولكن هذه الكائنات لم تكن مخلوقات خارقة للطبيعة من الخيال ولكنها طبيعية، وعليه فهي ليست كائنات تعلوه وإنما تدنوه لان كل شيء يساعد الإنسان في أفعاله الواعية والإرادية يسمى عموما (بشريا) وكل هبة وعطية لا تأتي من أعلى ولكن من أسفل فهي لا تأتي من فوق وإنما من أعماق الطبيعة. (٧١)

كما ارجع فيورباخ جوهر المسيحية إلى الإنسان الحي واغترابه عن ذاته وكتب انه حالما يحل الإنسان محل المسيحي المؤمن والعمل محل العبادة حتى يحل الجوهر الإنساني محل الجوهر الإلهي، وفي نظره فان المسيحية اختفت من حياة البشر اليومية لان المسيحية أصبحت فكرة ثابتة لا علاقة لها بالمتغيرات الجارية في الحياة. (٧٢)

وعليه فان الاتجاه الفلسفي الجديد الذي عبر عنه (فيورباخ) في ماديته قد هدف إلى إنهاء الصراع بين الكنيسة والدولة بالإطاحة بالمسيحية نفسها نهائيا وإخراجها من دائرة الحياة الإنسانية واعتبار الدين شرا لا فائدة منه على الإطلاق (ان الدولة في مضمون الواقع كله هي الطبيعة العامة والإنسانية، هي الحامية الواقعية للإنسان)، وبهذا تصبح الدولة مناقضة للدين، وان الإلحاد العلمي هو الرباط بين الدول، ان المسيحية (كدين) تمثل فاعلية الإنسان السياسية، وتسمى هذه النظرة عند أتباع (فيورباخ) التي تنقل الإنسان إلى مكان الله في العبادة وتقدم عليه الدولة وتصنع التاريخ (المذهب الإنساني الإلحادي). (٧٣)

وهكذا وضع فيورباخ الأساس النظري بتجريد المسيحية من جميع صلاحياتها وإخراجها من جميع مجالاتها في السياسة والتعليم والتشريع والتوجيه، ولم تعد هناك ثمة حاجة إليها من وجهة النظر المادية على الإطلاق بل على العكس من ذلك لقد اعتبرت معوقا للإنسان وعلى الإنسان ان يتخلص منه.

ثانيا : كارل ماركس : ولد ماركس عام (١٨١٨م) في مدينة ترير مقر الأسقفية التي كانت في الماضي جزءا من إقليم الراين الروسي، ينتمي من ناحية الأم والأب إلى عائلتين عريقتين من أبحار اليهود؛ في البداية تحول والداه من اليهودية إلى البروتستانتية، فالوالد رجل القانون المثقف ثقافة فلسفية اعتنق مثل كثير من اليهود (فكر التنوير) وكان هذا له تأثير كبير على حياة ماركس، توفي عام (١٨٨٣ م). (٧٤)

بعد فيورباخ جعل ماركس المهمة نفسها نصب عينه لكن ليس عبر الدين والفلسفة وإنما عبر التنظير لتغيير المجتمع حتى يسترجع الإنسان إنسانيته وحرية ويستطيع بناء مجتمع الحرية والمساواة على الأرض، وبهذا يحقق المصالحة بين النسبي والمطلق في تحقيق الحرية والمساواة. (٧٥) حيث يرى ماركس في تقليد نقدي ان الدين خداعا مقصودا يهدف إلى السيطرة على كل شيء، وفي نظرة نقدية أعمق يرى في الدين ظاهرة ناجمة عن اغتراب الإنسان عن جوهره وان الدعوة إلى التعامل مع الدين تمثل أيديولوجيا ضبابية تطمس وعي الجماهير بظروف حياتها الواقعية ويجب تحويل هذا التعامل مع الدين إلى أيديولوجيا. (٧٦)

لذلك أراد ماركس ان يوضح بان الدين هو فكرة دخيلة على العقل البشري وليست من آلياته ولا فائدة من احتوائها لان كل كشف عقلي جديد يضاف تلقائيا إلى العقل ويصبح احد آلياته في فهم الوجود، وإذا تم اكتشاف آليات أو بنى تقع خارج العقل مثل (الدين) فهذا وهم حسب وجهة نظره، لان مجرد عقلنتها فإنها تضاف تلقائيا إلى مساحة العقل وتصبح إحدى أدواته في فهم وتحليل الوجود. (٧٧)

لذلك سيكون التعامل مع الدين باعتباره أداة سيطرة أيولوجية على الناس البسطاء بواسطة الخرافات، بمعنى انه خداع وتظليل منضمان يقوم به رجال الدين للسيطرة على أذهان الناس لمصلحتهم أو لمصلحة طبقات دينية أخرى، وهذا كان بمثابة رد فعل على نظام الامتيازات التي كانت تحصل عليها الأسقفيات المحلية ورجالها. (٧٨) حيث رأى ماركس في الدين تفسيراً مثالياً عن طموحات البشر ومخاوفهم فاعتبر الدين لذلك (تهيئة المظلوم المقموع وقلب عالم بلا قلب وإسقاطاً لعالم الإنسان المتفهم والمغترب إلى عالم آخر وهو عالم المثال). (٧٩)

يمكن القول ان ماركس اتخذ الموقف النقدي السياسي والحاد من الدين في فترة حزبه (بروتوباور) كما تثبت رسائله والكتب الفرنسية والألمانية، فقد كتب فيها مقالاتين لمناقشة مقولات (بروتوباور) العلمانية الكلاسيكية التي تؤكد المواطنة وفصل الكنيسة عن الدولة، وناقش ماركس موقف (باور) الداعي إلى تحرير الدولة من (دين الدولة) أي المسيحية، وكان موقف (باور) هو شرط تحقيق المساواة للأقليات الدينية أي (اليهود) ممثلاً موقفاً علمانياً كلاسيكياً ان تأخذ مساراً ديمقراطياً ليبرالياً يفصل الدين عن الدولة.

في أي حال تعامل (ماركس) مع الدين باعتباره أيولوجياً لأنه في رأيه ينشر في عالم التمييز الطبقي دفناً وحمية أو يجعل الإنسان مستعداً لتقبل الظلم والتسليم بتوزيع مراتب المجتمع الهرمية وتقسيمها كأنه أقدار إلهية، وفي الحالتين تطمس الأيدولوجيا الدينية وعي العامل ووعي المستغلين والمقموعين وتلفه بالضباب. (٨٠)

يمكن القول بان فلسفة ماركس المادية الديالكتيكية وتطبيقها الاجتماعي - السياسي (المادية التاريخية) يتلخص بالاتي: "ان هدم المسيحية مقدمة ضرورية لبناء عالم يكون الإنسان فيه سيد نفسه ولكن لا ترفض المسيحية وحدها فقط وإنما يرفض معها كل دين كذلك، إذ الدين يسلب الإنسان وعيه بمأساته وشقائه في الوقت الذي يمنيه فيه بعالم أفضل". (٨١)

ثالثاً: لينين (١٨٧٠ - ١٩٢٤م)

يظهر ويتضح الجانب الإلحادي عند لينين من خلال موقفه من الدين حيث قبح (لينين) ليس عبادة الله فقط بل مجرد التفكير في الله فقال: " ان كل فكرة دينية أو فكرة عن الله حتى التماذي بفكره عنه هي قباحة لا ينطق بها وهي أعظم خطراً وأشدّها عدوى من أية عدوى كانت، فملايين الخطايا والأعمال القبيحة ومظاهر الضعف والعدوى الجسدية لهي أقل خطراً من فكرة روحية خداعة عن الله". (٨٢)

وقد أخذت هذه الفلسفة الجديدة للعلمانية التي تقوم على المادية والإلحاد صيغتها التطبيقية الأولى في روسيا بعد الثورة البلشفية عام (١٩١٧م) بقيادة لينين وأعدائه وحلفائه ثم انتشرت في صيغ مختلفة في أوروبا الشرقية بعد الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩م.

وقد أدى هذا الوضع الجديد على صعيد النظرية والتطبيق إلى إلغاء دور الدين نهائياً من كل حقل من حقول الحياة العامة والخاصة تشريعاً وتعليمياً وتوجيهياً، بل لقد حورب الدين ولا يزال يحارب كمعتقد

شخصي خاص عن طريق الدعاية المستمرة ضده بشتى الألوان والأساليب كما أحيطت الممارسة الدينية (العبادة) بكثير من المعوقات والقيود.

### المبحث الثالث

#### التطبيقات العملية للعلمانية المعتدلة والمتطرفة على صعيد السلطة والمجتمع في اوربا

ان ظهور الدولة العلمانية كفكرة ومصطلح تختلف عن كل المصطلحات التي ظهرت فيما سبق من ناحية ان الدولة العلمانية (بالمعنى الواسع) مختلفة كل الاختلاف فهي لم تعد تسعى في هذه الحالة إلى فرض وجهة نظر فئة من المجتمع على بقية الناس بالإكراه بل انها تقوم قیل كل شيء على أساس الفكرة التي يكون بموجبها القسر السياسي فيما يتعلق بتوجهات الإنسان في الحياة غير مشروع بأي شكل من الأشكال، أي ان حرية الضمير معلنة ومؤكدة، حيث يرتكز دور الدولة هنا على تمكين أولئك الأكثر ضعفا والأقل عددا أو قبولا في المجتمع من التمتع بمثل تلك الحرية، بتعبير آخر تلعب الدولة هنا دور الحكم بمعنى انها لا تتحاز لمفهوم معين للحياة الصالحة ولكنها تعمل بطريقة لا تسمح لأحد بفرض مفهومه الخاص على الآخرين. (٨٣)

وعليه فان هذه الدولة (الدولة العلمانية) تتخلى عن استخدام العنف لفرض اتجاه رسمي للحياة، إذ انها تضبط نفسها وتقيد قدراتها الاستبدادية وتضبط المجتمع، فهي لم تعد تعمل باسم تصور دون آخر وإنما باسم كافة التصورات، كما انها تمثل مجموع الشعب بأكمله لا فئة محددة وتصورا (مقرا) للوجود. (٨٤)

في هذا الفصل سيتم التطرق إلى ابرز الدول التي ظهرت فيها تطبيقات العلمانية بشكلها المعتدل والمتطرف من حيث انها وجدت فيها ارض خصبة لتستقر عليها وتنمو وتزدهر فيها على الرغم من ان (العلمانية) اختلفت أشكالها من دولة إلى أخرى ومن مرحلة إلى أخرى لكنها في نهاية الأمر استطاعت ان تحقق أهدافها وان تظهر إلى العالم، وكما يلي :

المطلب الأول: فرنسا.

المطلب الثاني: الولايات المتحدة الأمريكية.

المطلب الثالث: روسيا.

#### المطلب الأول

##### فرنسا

تقضي العلمانية إذن الفصل بين الوجود والتصور أي بين المجال السياسي الذي هو في خدمة الشعب كله من جهة وتصورات الوجود الخاضعة للضمير المنفرد والتي لا يمكن بالتالي فرضها على الآخرين من جهة أخرى، حيث لا يمكننا فهم تاريخ العلمانية الفرنسي دون ان نبقى وضعا كهذا ماثلا في أذهاننا.

لقد انفصلت فرنسا جزئيا عن الكرسي الرسولي ما ان سمحت سلطة الملوك بذلك، أي اعتبارا من عهد (فيليب الجميل) الذي حكم البلاد من عام (١٢٨٥-١٣١٤) حيث تصدى هذا الأخير للتدخل البابوي في الشؤون الفرنسية خلال نزاعه مع البابا (بونيفاس الثامن) مدشنا عهد سياسة مستقلة عن روما، هذا ما يدعى بـ ( الغاليكانية) أي الفكرة التي لم يعد ملك فرنسا معها يعترفوا بأية سلطة عليا على هذه الأرض. (٨٥)

تعززت (الغاليكانية) مع عهد الملك (ريشيليو) ثم بلغت أوجها في عهد الملك (لويس الرابع عشر) حيث كتب الأخير في عام (١٦٨٢م) إعلان اكليروس فرنسا الذي يشير إلى انه ليس للبابا والكنيسة من سلطة "سوى على الأمور الروحية والتي تتعلق بالخلاص الأبدي ولا علاقة لهما بالأمور المدنية والزمنية على الإطلاق..... ولا تخضع الملوك بالنسبة للأمور الزمنية إلى أية سلطة كنسية بأمر من الله". (٨٦)

وبهذا يمكن تلخيص ثلاث نتائج مباشرة لعلمنة الدولة بمعنى فصلها عن الكنيسة : أولاً : توقف الاكليروس عن أن يكون طبقة من طبقات الدولة الاجتماعية - السياسية، ثانياً: ان قوانين الكنيسة صارت غير ملزمة بشكل عام، ثالثاً: توقف الدولة عن التدخل في صوغ قوانين الكنيسة.(٨٧)

ثم جاء القانون المدني للاكليروس في عام (١٧٩٠م) ليشكل مرحلة أساسية في تطور (العلمنة) لكن ليس بالمعنى اللاحق لفصل الكنيسة عن الدولة بل بمعنى إخضاع الكنيسة لسلطة الدولة مكرسا ما سبقت الدول الأخرى غير الكاثوليكية فرنسا إليه بموجب معاهدة (وستفاليا) علم ١٦٤٨م أي استقلال الكنائس غير الرومانية الكاثوليكية وقومنتها في شكل كنائس قومية مستقلة عن سلطة (البابا الكاثوليكي - الإمبراطور الروماني) الذي كان يتلقى تاجه من البابا، وبهذا الشكل عبر(الدستور المدني) في جعل الكنيسة الفرنسية بضربة واحدة بروتستانتية في التنظيم وان لم يكن في العقيدة.(٨٨)

ومن بعد ذلك تأتي مرحلة الثورة الفرنسية عام(١٧٨٩م) ودورها الكبير والواضح في انتشار النزعات العلمانية (كما اشرنا في مقدمة البحث) حيث يمكن القول بوثوق ان الثقافة العلمانية انتشرت بعد الثورة الفرنسية في أوساط أوسع من النخبة التي كانت تأخذ بها، والفئات المحدودة من جماهير المدن قبل الثورة، وحصل الانتشار الواسع بفضل الهيمنة الثقافية بعد الثورة وكانت أهم أدواتها التعليم (المدرسة الرسمية والنشر).(٨٩)

كذلك من مظاهر بروز العلمانية في فرنسا ان الكنائس غدت كيانات خاصة، حرية العبادة مكفولة غير ان مظاهرها العلنية (وهي ضرورية في حالة الكاثوليكية) قد علمنت ومن الأمثلة على ذلك: إسناد وظيفة شرطة البلديات، تنظيم قرع الأجراس، منع وضع إشارات وإشعارات دينية على المباني العامة، تنظيم التطوفات، نظام فعل كهذا وان كان مخففا هو الذي يشكل خصوصية العلمانية الجمهورية الفرنسية.(٩٠)

ومن ثم تكتمل صورة العلمانية في فرنسا عندما يؤكد دستور عام ١٩٥٨ على ان "فرنسا جمهورية..... علمانية، انها تكفل المساواة أمام القانون لكافة المواطنين بدون أي تمييز في ما يتعلق بالأصل أو العرق أو الدين، وهي تحترم جميع المعتقدات".(٩١)

وبهذا يمكن القول ان الكنيسة في فرنسا قد اهدت إلى العلمانية تدريجيا الأمر الذي مكن من حدوث الإجماع شبه التام الذي أدى إلى جعل العلمانية دستورية، فرنسا جمهورية علمانية ذلك انها أخذت تجد فيها شيئا فشيئا حماية أو نوعا من كبح يوقف ارتداد المجتمع عن المسيحية ضمانا بان الفصل لن يأخذ منحى (غاليكانية حديثة).(٩٢)

## المطلب الثاني

### الولايات المتحدة الأمريكية

عندما نتحدث عن العلمانية الأمريكية لا بد لنا من التوضيح بأنها تختلف عن نظيرتها في أوروبا، ففي أوروبا يطبقون العلمانية من اجل حماية الدولة من الدين، أما في أمريكا فإنهم يطبقون العلمانية من اجل

حماية الدين من الدولة (٩٣)، وذلك لان الولايات المتحدة لم تبدأ بدولة تسير الكنيسة أو العكس ولم تبدأ بوحدة الكنيسة والدولة ولم ينشأ الفصل عن ثورة علمانية لها روايتها التاريخية، فان السردية الدينية للتاريخ والسردية العلمانية المقابلة هما في الجوهر سرديتان غريبتان بالنسبة إلى الثقافة السائدة في الولايات المتحدة، وهذا ليس من عوامل تفسير العلوم الاجتماعية الأمريكية من نظرية العلمنة في تفسير التطور التاريخي، لكن الدولة في أمريكا لم تمر بعملية علمنة لأنها نشأت كدولة حديثة ولم تتطور عن كيانات يختلط فيها الدين بالدولة، مع ذلك نشأت تحولات جارية لعلمنة المجتمع وأثرت هذه بالتدريج في التشريع وتفسيره في المحاكم. (٩٤) حيث ان أمريكا مجتمع كبير تسوده الديانة المسيحية كما يوجد فيه من الأديان والمعتقدات المختلفة ما يفوق مثيله في أوروبا، كذلك الهوية تختلف وتتعدد طبقا للعرق والجنس والدين. (٩٥)

مثل هذا الأمر يقود إلى الاستنتاج بان مصدر العلمانية في الولايات الأمريكية يختلف عن مصدر العلمانية الأوروبية لان هدفها لم يكن اجتثاث سيطرة الكنيسة بل كان حماية الدين والحريات الدينية والتي مصدرها أنماط تدين وتقوى ترفض ان تتدخل في شؤونها سلطة سياسية، وبهذا المعنى تصيح العلمنة شرط الحياة الدينية في العالم الحديث لا ضمانه لانتشار الدين والإيمان أو عقبة أمام الحياة الدينية. (٩٦)

لهذا يمكن القول بان فصل الكنيسة عن الدولة في فرنسا يعد تنويجا لصراع تاريخي طويل ومعدد ضد المؤسسة الدينية وضد النشاط الديني في الحيز العام لا في الدولة فحسب، أما فصل الكنيسة عن الدولة في الولايات المتحدة فقد حول الحرية الدينية إلى نمط حياة ثم إلى تقليد بفضل سعي المهاجرين الفارين من املاءات كنيسة واحدة. (٩٧)

الولايات المتحدة (فصلية) من بعض الوجوه أكثر من فرنسا، إذ لا تقدم السلطات العامة على سبيل المثال دعماً مالياً للمدارس الدينية ولكن التعديل الأول في دستور الولايات المتحدة لا يأتي بالدقة على ذكر كلمة (فصل) بل يتضمن فقط (البندين الدينيين) المتعلقين بعدم وجود أديان رسمية وبحرية الضمير. (٩٨)

إن الرئيس الأميركي الأسبق (جيفرسون) هو من كان قد تحدث في رسالة موجهة إلى جمعية معمدانية عن ضرورة إنشاء (جدار فصل) بين الدولة والكنائس. (٩٩) ومع أن وجود دين رسمي مقرر لا يتعارض بالضرورة مع مبادئ حرية الضمير واللامتياز، فقد اعتبرت محكمة الولايات المتحدة العليا بان أي ارتباط بين الدولة وهذه الكنيسة أو تلك حتى وان كان ضئيلاً أو أي دعم مالي حتى وان كان يوزع تحت تسميات مختلفة من شأنه أن يمس بالدستور، لذلك كثيراً ما كان يقال ان الدولة في الولايات المتحدة علمانية والمجتمع متدين. (١٠٠)

كتب (ألكسي دي توكفيل) قبل قرن ونصف ان الدين في الولايات المتحدة منتعش ومزدهر من حيث تزدهر الكنائس اجتماعياً وتمتلى بالمصلين وتفتح المدارس والمشافي وتشق الطرق التي تقود من البلديات البعيدة إلى الكنائس ويزداد تأثيرها في المجال العام ومنه في السياسة وكتب (توكفيل) ان تأثير رجال الدين في أمريكا في السياسة وسن القوانين وفي الدولة يكاد أن يكون معدماً في (عصره طبعاً) وفي المقابل لا توجد دولة تمارس فيها المسيحية تأثيراً في حياة الناس البيئية كما عند (الأمة الأميركية الحرة). (١٠١)

كذلك هنالك اختلاف آخر مع أوروبا وخاصة مع فرنسا يشكله ذكر الله الشائع في فعاليات الحياة العامة الأميركية، هذا الامتياز يمنح الدين حضوراً مرئياً لا يحصى بمثله في أوروبا. (١٠٢)

لذلك هنالك نتيجة يمكن استخلاصها من مقارنة عامة كهذه إن لم تكن مشتقة من إدراك الاختلاف بين أوروبا والولايات المتحدة اعتباراً من أنواع العلمانية (الصارمة)، (المنفتحة)، (الجديدة) ، فعلى صعيد العلاقات بين الكنائس والدولة نرى ان أميركا قريبة من فرنسا، أما في ما يتعلق بحيوية الدين في المجتمع ودوره الرمزي في بعض مظاهر الحياة العامة فتعتبر فرنسا والولايات المتحدة على طرفي نقيض. (١٠٣)

وعليه يمكن القول بان جوهر العلمانية الأميركية هو بقاء الدين ككيان محايد ،الدولة لا دين لها ،والوجه الآخر لهذا المبدأ هو أن الدولة لا تتدخل فيما يؤمن به الأفراد ،ولا شأن لها بذلك، ولا يضر الدولة أن يصبح الناس أكثر إيماناً أو أقل ،لا يعنيه في قليل أو كثير إن زاد عدد من يذهبون إلى الكنائس أو نقص ،باختصار الدولة ليست معنية بموقع الدين في المجال العام.

### المطلب الثالث

#### روسيا

يختلف الموقف الأيدلوجي العلماني هنا من حيث انه يتجلى في الايدولوجيا العلمانية الصلبة التي ترفض الدين ومظاهره في المجال العام.

وعليه يمكن القول بارتباط الموقف العلماني المناهض لوجود الدين في المجال العام بتاريخ الدول التي يسود فيها، وبالمواقف الأيدلوجية للفئات الحاكمة أو التي وصلت إلى الحكم في إطار تغيير ثوري للنظام أو في مجتمعات تقليدية كان هدف الوصول إلى السلطة فيها القيام بعملية التحديث ،وغالباً ما تكون علمانية الدولة معادية أيدلوجيا للدين في البلدان التي وصلت فيها النخبة الجديدة من خلال ثورة في بلدان سار فيها نظام ما قبل ثوري تقليدي وارتبط فيها النظام الملكي بمؤسسة دينية كما هو الحال في الكنيسة الكاثوليكية والملكية الفرنسية والكنيسة الارثوذكسية والقيصرية الروسية. (١٠٤)

تعرض الدين في روسيا بعد نجاح الثورة البلشفية عام (١٩١٧م) بقيادة لينين للتهميش ،وكانت أولى أهداف الدولة الأيدلوجية هي القضاء على الدين والاستعاضة عنه بـ(الإلحاد) ومصادرة الممتلكات الدينية ،وتعرض المؤمنون للمضايقة والسخرية من الدين بشكل عام ونشر الإلحاد في المدارس، وفي غضون نحو عام من قيام الثورة تم مصادرة جميع ممتلكات الكنيسة بما في ذلك الكنائس نفسها، وخلال الفترة من (١٩٢٢م - ١٩٢٦م) تم قتل (٢٨) أسقف ارثوذكسي روسي وأكثر من (١٢٠٠) كاهن وتم اضطهاد الكثيرين من الأشخاص من ذوي الاتجاهات الدينية في الدولة. (١٠٥)

وعليه فان في حالة روسيا السوفيتية كان الموقف الرسمي إلحادياً يتجاوز حتى الحادية (ماركس) الفلسفية إلى الحادية تعبر عن ذاتها إجرائياً وسياسياً بمنع الدين في المجال العام ،واتخاذ إجراءات ضد ممارسته واختبار التمكن منه في مواد التعليم العالي تحت اسم (اختبار الإلحاد العلمي) ورافق ذلك موقف سلبي من رجال الدين عموماً. (١٠٦)

وبهذا فان روسيا كانت دولة تسيرها عقيدة علمانية شاملة ذات طابع إلحادي مادي هجومي على عكس الولايات المتحدة التي كانت تسمح بحرية العقيدة والتبشير والدعاية الدينية ،كما أن عدد الكنائس في الولايات المتحدة كبير جداً، وحتى عهد قريب لم يكن بإمكان احد أعضاء النخبة الحاكمة أن يجاهر بإلحاده ويحتفظ بمنصبه بالوقت نفسه، وهذه احد نقاط الاختلاف من الناحية المعادية والرافضة للدين من جانب روسيا السوفيتية. (١٠٧)

نستنتج من هذا ان العلمانية درجات وينطبق هذا على درجة علمانية الدولة نفسها واليات وممارسات تطبيق العلمانية في المجتمع، وكذلك على مقدار الحرية التي تمنح دستوريا واجتماعيا للجماعة في ممارسة الحريات الدينية، فالعلمانية الصلبة درجات من حيث الاعتدال والتطرف (الايمان والالحاد) اذ تختلف علمانية فرنسا عن علمانية الولايات المتحدة، وتختلف الأخيرة عن علمانية روسيا السوفيتية.

## الخاتمة

يمكن القول ختاماً ان هناك مجموعة من النقاط يمكن استخلاصها من مضمون البحث تتمثل بالاتي:

- مصطلح العلمانية لفظ (مغرب) وليس (عربي) أصيل حيث انه دخيل على لغتنا ومجتمعنا العربي والإسلامي، وهو مصطلح غربي النشأة والدلالة وردت له مجموعة من الدلالات والاستخدامات في البيئة العربية بالأخص مع خمسينيات القرن العشرين الفترة التي كانت فيها البيئة العربية تحتضن الأيدلوجيات الليبرالية والقومية واليسارية ذات الأبعاد العلمانية والتي خاضت صراعا قويا مع التيارات الإسلامية في تلك الفترة.
- العلمانية تعتبر من أكثر المفاهيم غموضا ومسالة تحديده ليست بالمهمة اليسيرة لما تنتشره من ردود فعل متضاربة ومتناقضة، والتناقض الذي تحركه ليس تناقضا طبيعيا كالذي يؤلب الآراء مع فكرة واضحة أو ضدها بل هو تناقض ينال من مضمون الفكرة ومعنى الكلمة.
- لم تكن العلمانية على درجة واحدة من حيث الطرح والاستخدام فالبعض طرحها بصورة طبيعية معتدلة على أنها تعطي مفهوم (فصل الدين عن الدولة) دون وجود أي إقصاء للجانب الديني شريطة عدم تدخله في الشؤون السياسية واعتباره من ضمن الأمور التي تعيش صراعا مع الشعور الداخلي للنفس الإنسانية، بينما طرحها آخرون طرحا متشددا (صلبا) فعلى الرغم من اشتراكهم مع التيار الأنف الذكر بفكرة (فصل الدين عن الدولة) فإنهم لم يكتفوا بهذا بل إن توجهاتهم مثلت دعوة صريحة لهدم كل ما هو ديني وإدخاله في إطار الخرافات والبدع التي لا وجود لها.
- تختلف التطبيقات العملية لـ (العلمانية) من دولة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر وهذا شيء متوقع أن يترتب على الأطروحات النظرية في النقطة السابقة من حيث المرونة والصلابة في التعامل مع المجتمع والمؤسسات الدينية.

## المصادر والهوامش

- ١- جورج طرابيشي، هرطقات عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية، بيروت، دار الساقي، ٢٠٠٦، ص ٢١٩.
- ٢- طارق عبد الحافظ عدنان، الإسلام والعلمانية (دراسة في ابرز المواقف الإسلامية المعاصرة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠٠٨، ص ٩.
- ٣- محمد عمارة، الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٣، ص ١٠٦-١٠٧.
- ٤- جورج طرابيشي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٠.
- ٥- حسن سعد، بين الأصالة والتغريب في الاتجاهات العلمانية عند بعض المفكرين العرب في مصر، بيروت، المؤسسة الجامعية للنشر، ١٩٩٣، ص ١٢.
- ٦- كمال عبد اللطيف، مفهوم العلمانية في الخطاب السياسي العربي، في هشام أبو قمره وآخرون، المعرفة والسلطة في المجتمع العربي، بيروت، معهد الإنماء العربي، ١٩٨٨، ص ٣٣١.

- ٧- يوسف القرضاوي، وجهها لوجه الإسلام والعلمانية، ط٢، القاهرة، دار الصحوة، ١٩٩٤، ص٤٨.
- ٨- المصدر نفسه، ص٤٨.
- ٩- احمد ألواعظي، الدولة الدينية ( تأملات في الفكر السياسي الإسلامي، بيروت، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ٢٠٠٢، ص٦٤-٦٥.
- ١٠- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ط٢، اسطنبول، المكتبة الإسلامية، ١٩٧٢، ص٦٢٤.
- ١١- إبراهيم مذكور، المعجم الوجيز، القاهرة، معجم اللغة العربية، ١٩٨٩، ص٤٣٢.
- ١٢- لويس معلوف، المعجم المنجد في اللغة، بيروت، دار المشرق، ١٩٧٣، ص٥٢٧.
- ١٣- احمد ألواعظي، مصدر سبق ذكره، ص٨٠.
- ١٤- المصدر نفسه، ص٦٥-٦٦.
- ١٥- عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، المجلد الأول، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٢، ص٥٣-٥٤.
- ١٦- عبد الوهاب المسيري وعزيز العظمة، العلمانية تحت المجهر، القاهرة، دار الفكر، ٢٠٠٠، ص١٣-١٤.
- ١٧- مارسيل غوشيه، الدين في الديمقراطية (مسار العلمنة)؛ ترجمة شفيق معين، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٧، ص١٥٨.
- ١٨- يوسف القرضاوي، مصدر سبق ذكره، ص٤٩.
- ١٩- المصدر نفسه، ص٥٠.
- ٢٠- صلاح الصاوي، موقف الإسلام من العلمانية، دن، ديم، ٢٠٠٦، ص٦.
- ٢١- رفيق عبد السلام، في العلمانية والدين والديمقراطية (المفاهيم والسياقات)، بيروت، الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٨، ص٦٢-٦٣.
- ٢٢- احمد ألواعظي، مصدر سبق ذكره، ص٦٧.
- ٢٣- طارق عبد الحافظ، مصدر سبق ذكره، ص٢٤.
- ٢٤- محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة، ط٣، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٨، ص٤٤٦.
- ٢٥- يوسف القرضاوي، مصدر سبق ذكره، ص٥١.
- ٢٦- نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ط٤، القاهرة، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٣، ص٣٧.
- ٢٧- احمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٧، ص٢٣٩.
- ٢٨- حليم بركات، المجتمع العربي في القرن العشرين، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٠، ص٥٠١-٥٠٢.
- ٢٩- عماد الدين خليل، تهافت العلمانية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٥، ص٥٧.
- ٣٠- عبد الوهاب المسيري وعزيز العظمة، مصدر سبق ذكره، ص١١٩-١٢٠.
- ٣١- محمد مهدي شمس الدين، العلمانية، ط١١، الكويت، المركز الإسلامي للدراسات، ١٩٨٠، ص١٣٣.
- ٣٢- المصدر نفسه، ص١٣٥.
- ٣٣- حسين فوزي النجار، الإسلام والسياسة، ط٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٥، ص٢٨٠-٢٨١.
- ٣٤- خوسيه كازانوف، الأديان العامة في العالم الحديث، مراجعة بولس وهبة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٠، ص٧٢.
- ٣٥- صادق جلال العظم، نقد الفكر الديني، ط٩، بيروت، دار الطليعة، ٢٠٠٣، ص١١٩.
- ٣٦- جوتفرايد كونزلن، مأزق المسيحية والعلمانية في أوروبا، ترجمة محمد عمارة، القاهرة، دار النهضة، ١٩٩٩، ص٢٢.
- ٣٧- المصدر نفسه، ص٢٣.
- ٣٨- سفر بن عبد الرحمن الحوالي، العلمانية نشأتها وتطورها وأثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، دم، دار الهجرة للنشر، دت، ص١٧-١٨.
- ٣٩- أنور الجندي، سقوط العلمانية، بيروت، دار الكتاب اللبناني، دت، ص١٤.
- ٤٠- المصدر نفسه، ص٢٦.
- ٤١- سفر بن عبد الرحمن الحوالي، مصدر سبق ذكره، ص١٨.

- ٤٢- أنور الجندي ، مصدر سبق ذكره ، ص، ٢٧
- ٤٣- سفر بن عبد الرحمن الحوالي ، مصدر سبق ذكره، ص، ١٨
- ٤٤- أنور الجندي ،مصدر سبق ذكره ، ص، ٢٨
- ٤٥- سفر بن عبد الرحمن الحوالي، مصدر سبق ذكره، ص، ١٧
- ٤٦- عزمي بشاره، الدين والعلمانية في سياق تاريخي، ج ٢، بيروت، المركز العربي ، ٢٠١٥، ص، ٢٨٣
- ٤٧- المصدر نفسه، ص ، ٢٨٣
- ٤٨- محمد عمارة، نهضتنا الحديثة بين العلمانية والاسلام، مصدر سبق ذكره، ص١٧-١٨،
- ٤٩- محمد عمارة، العلمانية بين الغرب والاسلام ، الكويت، دار الدعوة، ١٩٩٦، ص، ٧
- ٥٠- المصدر نفسه، ص٧-٨،
- ٥١- المصدر نفسه ، ص، ٨
- ٥٢- حسين فوزي النجار، الفكر السياسي الحديث، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٩٦٦، ص، ٣٦
- ٥٣- نقلا عن :محمد ابراهيم مبروك، العلمانية العدو الاكبر للاسلام، القاهرة، مركز الحضارة الاسلامية، ٢٠٠٧، ص، ١٥٠
- ٥٤- حسين فوزي النجار، الفكر السياسي الحديث، مصدر سبق ذكره، ص٣٧-٣٨،
- ٥٥- المصدر نفسه ، ص، ٢٥
- ٥٦- محمد مهدي شمس الدين ،مصدر سبق ذكره، ص، ١٤٤
- ٥٧- محمد ابراهيم مبروك، مصدر سبق ذكره، ص، ١٥٠
- ٥٨- المصدر نفسه، ص، ١٦٠
- ٥٩- روبرت تسمير، في صحبة الفلاسفة (مدخل لاعمالهم الفلسفية الرائدة)، ترجمة عبد الله محمد ابو هشه، لندن دار الحكمة، ٢٠١١، ص، ١٠٨
- ٦٠- حسين فوزي النجار، مصدر سبق ذكره، ص، ٤٠
- ٦١- المصدر نفسه، ص، ٤١
- ٦٢- المصدر نفسه، ص ٤٣-٤٤،
- ٦٣- محمد ابراهيم مبروك، مصدر سبق ذكره، ص ، ١٧٣
- ٦٤- محمد مهدي شمس الدين، مصدر سبق ذكره، ص، ١٤٦
- ٦٥- مجدي ممدوح، اشكاليات فلسفية معاصرة، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠١٣، ص، ١٠٨
- ٦٦- سفيان سعد الله، اشكالية العقل والدين عند ديكرت، بيروت، دار التنوير، ٢٠١٧،
- ٦٧- محمد مهدي شمس الدين، مصدر سبق ذكره، ص، ١٤٧
- ٦٨- محمد عمارة، العلمانية بين الغرب والاسلام، مصدر سبق ذكره، ص، ٧
- ٦٩- عزمي بشاره، الدين والعلمانية في سياق تاريخي، مصدر سبق ذكره، ص، ٦٦٢
- ٧٠- luding feuerac,the essence of Christianity ,translate George eliot (newyork:harper torchbooks ,1957) p.204
- ٧١- فيورباخ، اصل الدين، ترجمة احمد عبد الحليم عطية، بيروت، المؤسسة العلمية للنشر، ١٩٩١، ص، ٤٣
٧٢. عزمي بشاره، الدين والعلمانية في سياق تاريخي، مصدر سبق ذكره، ص، ٦٦٢
- ٧٣- محمد مهدي شمس الدين، مصدر سبق ذكره، ص، ١٥٢
- ٧٤- روبرت تسمير، مصدر سبق ذكره.
- ٧٥- عزمي بشاره، مصدر سبق ذكره ، ص، ٦٦٣
- ٧٦- المصدر نفسه ، ص، ٢٨٠
- ٧٧- مجدي ممدوح، مصدر سبق ذكره، ص، ١١٠

٧٨- عزمي بشاره، مصدر سبق ذكره ، ص، ٢٨٠

٧٩- المصدر نفسه، ص، ٢٨١

٨٠- المصدر نفسه، ص، ٢٨٨

٨١- نقلا عن محمد مهدي شمس الدين، مصدر سبق ذكره، ص، ١٥٣

٨٢- نقلا عن ، حلمي القمص يعقوب، كتاب رحلة الالحاد، ب.ط، ب.ت، مكتبة الكتب المسيحية.

٨٣- غي هارشير، العلمانية، ترجمة رشا صباغ، سوريا، دار المدى، ٢٠٠٥، ص٨-٩،

٨٤- المصدر نفسه ، ص، ٩

٨٥- المصدر نف ، ص، ١١

٨٦- المصدر نفسه، ص، ١٣

٨٧- عزمي بشارة، مصدر سبق ذكره، ص، ١٣٩

٨٨- المصدر نفسه ، ص، ١٤٠

٨٩- المصدر نفسه، ص، ١٤٥

٩٠- غي هارشير، مصدر سبق ذكره، ص٢٤-٢٥

٩١- دستور فرنسا الصادر عام ١٩٥٨ شاملا تعديلاته لغاية عام ٢٠٠٨ المادة الاولى .

٩٢- غي هارشير، مصدر سبق ذكره، ص٢٥-٢٦،

www.ahl alquran.com

٩٣- شادي طلعت، مواطن قوة اميركا ...العلمانية، مجلة اهل القران، ٢٠١٠،

٩٤- عزمي بشارة، مصدر سبق ذكره، ص، ٢٥٠

٩٥- شادي طلعت ، مصدر سبق ذكره.

٩٦- عزمي بشارة، مصدر سبق ذكره، ص، ٢٥٠

٩٧- المصدر نفسه، ص، ٢٥١

٩٨- غي هارشير، مصدر سبق ذكره، ص، ١١٠

٩٩- جمال ابو الحسن، العلمانية بين مصر وفرنسا واميركا، مجلة اقلام وارااء، ٢٠١٧، www.almasyalyoum.com

١٠٠- غي هارشير، مصدر سبق ذكره، ص، ١١١

١٠١- عزمي بشارة، مصدر سبق ذكره، ص٢٥١.

١٠٢- غي هارشير، مصدر سبق ذكره، ص، ١١٢

١٠٣- المصدر نفسه، ص١١٣.

١٠٤- عزمي بشارة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٥.

١٠٥- [ar.m.wikipedia.org](http://ar.m.wikipedia.org)

١٠٦- عزمي بشارة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٥-٢٨٦.

١٠٧- عبد الوهاب المسيري، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥.